

أنا وأنت على الطريق إفشاء الأسرار

كتبت إحداهن ما حصل معها من اختبار أود أن أشاركك به سيدتي لما فيه من فائدة جمة. قالت السيدة: كان لصديقتي إيمي مكانة خاصة في قلبي. فلما أنبأتني بما بينها وبين زوجها من شقاق ومشاكل ، اهتمت بأمرها جدا حتى أنني فاتحت صديقتي سوزان بالموضوع. وكانت سوزان موضوع ثقة فهي لا تصرف وقتها في القيل والقال . وقلت لها: لقد فاتحتني إيمي بالموضوع لأنني محط ثقتها فاكتميه ولا تبوح به لأحد. فردت علي وقالت: بلا ريب ولك أن تطمئني إليّ.

ولم يمض أسبوعان على الموضوع حتى رأيت إيمي صديقتي صاحبة المشكلة وهي تتأبط ذراع زوجها وكأنهما تصافيا . فحييتهما. لكنني ذهلت حين رأيتهما لا يعبان بتحتيتي وكأنهما لم يعرفاني قط. فأمسكت ذراعها وقلت: إيمي لماذا هذا الجفاء؟ أرجوكما قولوا لي السبب؟ فثارت ثورة إيمي وقالت: لقد بحت إليك بما بيني وبين زوجي ولم أنبئ به أحدا سواك من الناس ، فرحت أنت تذيعين الخبر يمينا وشمالا ولولا حسن الطالع لقضيت على زواجنا قضاء مبرما.... إنني لم أخبر أحدا سوى صديقتي سوزان وعرفت أنها لم تدع الخبر . ولكنها حدثت به زوجها لا غير . هذا ما قلته لها. قالت إيمي : ألا ترين أن النساء جميعا يفضين إلى أزواجهن بكل شيء؟ وهنا عزمتم أن أتقصي الحقيقة بنفسي ولم أجد مشقة في فعل ذلك. ومن العجب أن أحدا لم يذع بالسر ولكن كلاً منهم كتمه على طريقته في كتمان الأسرار. غير أن كلاً منهم اهتم بقصة إيمي حبا لها ولزوجها. فتحدثت سرا مع صديق له يثق به في العمل. وروى الشريك أيضا السر لزوجته. فروته هي لأعز صديقاتها ، وروته هذه بدورها إلى زوجها الذي يعمل في مكتب زوج إيمي. وذات صباح ربّت هذا الرجل على كتف زوج إيمي وواساه فيما سمعه عن متاعبه الزوجية.

قالت السيدة كاتبة الاختبار هذا: لقد تعلمت درسا كلفني ثمنا فادحا. فلقد خسرت صديقين، وكان ما حدث خليقا أن يدمر سعادتهما. ومثل هذا كثير، وهو يتم دون أن يقصد المرء أن يسيء إلى غيره. وختمت السيدة اختبارها هذا لنقول: وحين أسمع اليوم أحدا يقول: هذا سر مكتوم فلا تذكره لأحد أغير الموضوع حالا. والآن عرفت أن الطريقة الوحيدة لكتمان السر سر غيرك هي أن لا نقشيه لأحد من الناس ولا تستثن. أجل إن أفضل طريقة لا بل إن الطريقة الوحيدة والمثلى لكتمان السر هو أن لا نقشيه لصديقتي لأحد ومهما كان مقربا لديك. ترى، هل مررت أنت أيضا بصديقتي بهذا الاختبار؟ إنها مشكلة تقع فيه جميعا سواء بقصد أم بغير قصد. أليس كذلك؟ وسرعان ما نجد أنفسنا في بعض الأحيان وقد وقعنا في الشرك أو في الفخ ودون أن نقصد ذلك. فنخسر صداقات كنا قد بنيناها عبر السنين والأعوام. ترى، هل أنت منتبهة سيدتي في علاقاتك مع صديقاتك وجاراتك وقريباتك؟ هل تحرصين على عدم البوح والإفشاء بالأسرار العائلية منها أو التي هي بين الأصدقاء؟

تعالى معى نستمع إلى ما قاله النبى والحكيم سليمان فى القديم ودون بالروح القدس فى الكتاب المقدس وفى سفر الأمثال عن هذا الموضوع الهام الذى يؤثر على علاقاتنا بعضنا ببعض . فكتب يقول بوحى الروح القدس هذه الآيات المقدسة لكى نتعلم منها: الساعى بالوشاية يفشى السر والأمين الروح يكتم الأمر. (أمثال ١١ : ١٣) كلام النمام مثل لقم حلوة وهو ينزل إلى مخادع البطن. (أمثال ١٨ : ٨) بعدم الحطب تنطفئ النار وحيث لا نمام يهدأ الخصام. (أمثال ٢٦ : ٢٠)

ويقول أيضا: قلب الحكيم يرشد فمه ويزيد شفثيه علما. (أمثال ١٦ : ٢٣) إذن الذى يفشى السر عن قصد يشى بصديقه ويوقع نفسه بمشاكل لأنه نمام. أما أمين الروح فهو الذى يكتم السر ولا يبوح به. وفى آخر آية اقتبسناها يقول الوحي المقدس على لسان سليمان الحكيم: قلب الحكيم يرشد فمه ويزيد شفثيه علما. أى أن الإنسان الحكيم يتصرف بحكمة وينطق بحكمة فلا يوقع نفسه بمآزق . لأن الحكمة ترشده فى الكلام والتصرف.

وهنا يا سيدتى يكمن بيت القصيد. أى القلب الحكيم الذى يرشد فم الإنسان ويزيد شفثيه علماً. إذ من القلب تخرج الكلمات المفيدة والبناءة ، فإذا كان القلب الذى فى داخلنا حكيمًا أى ذكيا فى التطبيق العملي، فمعناه أنه يرشدنا إلى الكلمات البانية وليس إلى الكلمات الهادمة. وإذا كان القلب حكيمًا فهو يقودنا إلى الحفاظ على العلاقات فلا نشي بأحد و لا نسعى لكى نفشى أسرار الآخرين. لكن من أين نستمد أنا وأنتِ الحكمة والقلب الحكيم يا سيدتى؟ يقول الكتاب المقدس بأن رأس الحكمة مخافة الله. أى أن الحكمة منبعها ومصدرها هو الله نفسه. هو الذى يعلمنا الحكمة الحقة. فهل طلبت من الله بأن يمنحك الحكمة الحقة؟ وهل فتحت قلبك لتعليمه فى الكتاب المقدس؟ فكلمة الله هى السراج المنير الذى يضيء قلوبنا وينير بصائرنا فنرى ونعرف الخير من الشر والحق من الباطل. هل تتقين بكلمة الله يا سيدتى؟ وهلا قرأتها فى الإنجيل؟ إنها ترشدك إلى مصدر الحكمة الرب يسوع المسيح الذى أتى من السماء خصيصا لكى يهبنا خلاصا من الموت الأبدي وغفرانا لخطايانا إن نحن آمنّا به. وعندها تهدينا حكمته وترشدنا مخافته ومهابته. فهل تؤمنين به؟
